وهي ان اكثر المجاورين لا يكرمون انفسهم (ومن لم يكرم نفسه لا يكرّم) وليس بيان هذا من موضوعنا الآن فنرجئه لفرصة أخرى . واذكر ههنا مثالاً في التعليم النافع نقله المقتطف الاغر عن الجرائد الاميركية وهو ان عبداً اسود اسمه (بوكروشنطون) كان خادماً ثم تعلم ثم انشأ مدرسة للعلوم والصنائع بجده وكده وهاك مجمل خبره تحت هذا العنوان الذي يليق به وهو

﴿ هل يوجد في مصر أمير كهذا العبد الاسود ﴾

كان بوكروشنطون اولاً في خدمة امرأة فاضلة فرأت رغبته في تعلم القراءة فجعلت تعلمه في دقائق الفراغ من الخدمة . وسمع يوماً ان الجنرال ارمسترنغ انشأ مدرسة في مدينة اسمها همتون يتعلم فيها اولاد السود ويعملون فيكتسبون ما يقوم بنفقات تعليمهم . قال ولما سمعت ذلك عزمت على الذهاب الى هذه المدرسة ولم يكن معي شيء من النقود ولا كنت أعرف الطريق اليها فقمت من ساعتي وجعلت أستدل على الطريق وأستعطي او اعمل لكي اكتسب ما اسدّ به الرمق فاذا اكتسبت فوق ذلك دفعت أجرة سكة الحديد والا مضيت ماشياً وبلغت مدينة رتشمند ليلاً ولم يكن معي شيء من النقود ورأيت الواحاً مبسوطة في شارع وتحتها حفرة فانتظرت حتى انقطعت رجل السابلة من ذلك المكان ودخلت تحت الالواح ونمت تلك الليلة ولحسن بختي وجدت عملاً في اليوم التالي في تفريغ شحن سفينة ودام هذا العمل عدة ايام وكنت آتي كل ليلة وانام تحت تلك الالواح فوفرت من أجرتي ما دفعت منه أجرة

سفري الى همتن وبقي معي نصف ريال »

ولما وصل الى المدرسة ورأى اساتذتها حالته الزرية اعطوه مكنسة وبعثوه الى غرفة وأمروه ان يكنسها فكنسها أربع مرات متوالية ولما رأوا منه ذلك قبلوه فى مدرستهم . قال وهذا كان الامتحان العلمي الذى امتحنوني به فدخلت المدرسة ورأيت فيها وفى مدينة همتن من أسباب التعليم والتهذيب ووسائل النجاح والفلاح ما ايقظ كل قوى نفسي وجعلني أشعر بانى مولود لاكون انساناً لا لأكون من بعض المقتنيات وعزمت ان أمضي الى الولايات الجنوبية التى يقيم فيها السود حالما تتم دروسي وابذل جهدى فى انشاء شيء لقومى يستفيدون منه كما استفدت انا من مدرسة همتن . ولما أتيح لى ذلك مضيت الى بلد تسكجي فى ولاية الاباما وجمعت ثلاثين ولداً كنت أعلمهم فى كوخ صغير ولم يكن لهذه المدرسة ما قيمته ريال واحد من العقار لكن الرغبة فى السعي والسعي فى الكسب خولاني انشاء مدرسة كبيرة للعلوم والصنائع فيها الآن ثمان وثلاثون داراً والف تلميذ

وكثير ما يسألني البعض عن الغرض من جمع المال لهذه المدرسة فأجيب ان فى الولايات الجنوبية الاميركية عشرة ملايين من السود أبناء جنسي وهم يحتاجون الى المأكل والمشرب والمأوى ويحتاجون ايضاً الى التعليم والتهذيب والى تربية الاخلاق التى تخلق بها الشعوب المرتقية ولا يسهل الوصول الى هؤلاء الملايين الا بان نرسل اليهم اناساً من نخبة الرجال والنساء المتعلمين المتهذبين الذين تدربت عقولهم على الشفقة فيسكنوا بينهم ويعلموهم ويهذبوهم . والغرض من المدرسة التى انشأتها انما هو

اعداد هؤلاء الرجال والنساء لهذا العمل العظيم

قال المستر ثرشر الذى نقلنا عنه هذه الحقائق لما أتيت تسكجي اول مرة مررت فى ولاية جيورجيا وكان معي فى القطار رجل يستدل من كلامه على انه كان قائداً فى جيش الولايات المتحدة وقت حرب الحرية فسألني عن الجهة التى انا ذاهب اليها فقلت له انى ذاهب الى تسكجي لأحضر مؤتمر السود فقال « أظنك تقابل بوكر وشنطون هناك . لقد اهتدى هذا الرجل الى السبيل الذى يفيد به أبناء جلدته فانه يعلم السود العمل ويا حبذا لو كان فى الولايات الجنوبية الف رجل مثله » ثم علمت بعد ذلك ان الرجل الذى كان يكلمنى من أكبر اصحاب الثروة فى تلك البلاد

وفى اليوم التالى بعد المؤتمر قابلنى رجل من السود وقال لى ألست انت فلاناً او لم تكن فى معرض شيكاغو فقلت نعم ومن انت فقال ألا تتذكر انك رأيتنى فى المعرض اعمل فى المكان الفلانى فقلت نعم انى أتذكرك الآن وما اتى بك الى هنا فقال ذهبت فى السنة التالية الى معرض اتلانتا وسمعت المستر وشنطون هناك يتكلم عن مدرسته التى يتعلم فيها اولاد السود الصنائع وانا فى صناعتى نجار ولكننى لا أعرف حرفة النجارة فأتيت الى هنا لكي أتعلمها وقد كدت اتقنها الآن ومتى اتقنتها سهل علي الكسب

قال الكاتب ولما أردت العودة من تسكجي دخلت مركبة البريد لاضع كتاباً فيها وكان على غلافه اسم مدرسة تسكجي فلما رآه كاتب البريد قال لى (ان بوكر وشنطون رئيس هذه المدرسة رجل عجيب فانى لم أره قط ولكني أعلم انه يعلم الناس العمل) وكنت كيفما التفت أرى الشهادات

تتكرر على نفع العمل الذى قام به هذا الرجل . وأى عمل أنفع من ان تعلم الرجال والنساء مبادئ العلوم والفنون وتجعلهم يقرنون العلم بالعمل ولا تضطرهم الى دفع درهم بل تكسبهم من عملهم مايقوم بنفقاتهم ونفقات تعليمهم

قلنا ان فى مدرسة تسكجي ثمانياً وثلاثين داراً الثلاث الاولى منها وهى أصغرها بنيت قبلما دخلها التلامذة والخمس والثلاثون الباقية بناها التلامذة أنفسهم فهم كانوا يصنعون الآجرّ (الطوب المشوى) ويشوونه بارشاد معلمين ماهرين فى هذه الصناعة ولم يكتفوا بعمل الآجر اللازم لهذه المبانى بل عملوا كثيراً منه وباعوه للغير . وقد وصف المستر وشنطون هذا كيفية اقدامه على قرن العلم بالعمل فى محفل حافل قال

« بعد ان مضى علىّ مدة فى تسكجي رأيت كأن تعبي ضائع سدًى لانى كنت أقتصر على تعليم الطلبة ما فى الكتب من غير ان أعلمهم كيف يعتنون بانفسهم وبمن لهم . ثم وقعت عيني على أرض قرب تسكجي وددت ان أشتريها ولم يكن معى ثمنها فقرضنى واحد مئة ريال اشتريتها بها ونقلت المدرسة اليها وكنت أعلم التلامذة جانباً من النهار وأخرج معهم فى الجانب الآخر منه نقطع الاشجار من تلك الارض ونعدها ولما عملنا الاجر لم اكن أعلم كيف يشوى ولم يكن معى ما أدفعه أجرة لصانع ماهر فى شيّه فأخذت ساعتى ورهنتها على نقود استأجرت بها الصانع فعلمنا كيفية شيه ولم استفك هذه الساعة حتى الآن مع اننا بنينا ثمانية وثلاثين بناءً كبيراً مما تعلمناه منها »

والتلامذة فى هذه المدرسة أو المدارس يتعلمون عمل الآجر والبناء

والنجارة على اختلاف فروعها. وفيها الآن معامل كبيرة مجهزة بكل مايلزم لها من الآلات والادوات وأكثر ما فيها من مكاتب وكراسي وأسرّة صنعه التلامذة أنفسهم فى هذه المعامل وصنعوا أيضاً مركبات النقل على أنواعها . والبناء دائم هناك حتى يكون للتلامذة عمل يعملونه وقد بنوا كنيسة كبيرة فى العام الماضى تسع الف نفس رسمها واحد من الاساتذة وهو مدرّس المبانى الهندسية ورسم أطنافها واحد من التلامذة ومقاعدها تلميذ آخر . والتلامذة هم الذين وضعوا الحديد على سقفها ووضعوا فيها آلة بخارية لتدفئتها وآلة كهربائية لانارتها

ويتعلم التلامذة تصليح الآلات على أنواعها ولا سيما الآلات الزراعية وفى المدرسة معمل كبير لذلك وهم يصلحون فيه آلات كثيرة لاهالى البلاد المجاورة . ويتعلمون أيضاً الحدادة والطباعة والخياطة والتصوير . ويتعلم البنات الاعمال الخاصة بالنساء كالطبخ والغسل والخياطة وعمل البرانيط ويتعلم بعضهن تمريض المرضى . ومن أهم ما يتعلمه التلامذة ويمارسونه علم الفلاحة وكل الاساليب العلمية المتبعة الآن حيث صارت الزراعة على أرقاها . وأساتذتهم من أمهر الاساتذة في هذا الفن وعندهم كثير من البقر الحلوبة وهم يستخرجون الزبدة من لبنها ويصنعون منه الجبن

ذكر المستر وشنطون حادثة جرت لاحد تلامذته قال أعلن أصحاب معمل من معامل الزبدة انهم يحتاجون الى مدير لمعملهم وكان فى مدرستنا شاب أتقن استخراج الزبدة وأتم دروسه فى المدرسة فمضى الى هذا المعمل وعرض نفسه على أصحابه فلما نظروا اليه قالوا له لا يمكننا ان نستخدم رجلا اسود فقال لهم انى لم آتكم لتستخدموا لونى بل معارفى فجربونى واحكموا

فنظروا فى الامر قليلاً ثم قالوا له ابق عندنا اسبوعين ولكن يجب ان تعلم من الآن اننا لا نريد ان نستخدم رجلا اسود . فاقام عندهم الاسبوع الاول ولما عرضت زبدتهم فى السوق دفع فى الرطل منها ثمن يزيد نصف غرش على ما كان يدفع عادة فاستغربوا ذلك وقالوا لنر مايكون فى الاسبوع الثانى فلما عرضوا زبدته للبيع دفع فى الرطل منها ربع غرش زيادة عما دفع فى زبدة الاسبوع الاول فسروا بهذا الربح واقروا الرجل فى منصبه ولو كان اسود فاحماً .

والمؤتمر المشار اليه آنفاً أنشئ فى تسكجي منذ عشر سنوات أنشأه المستر وشنطون للسود لكي يتذاكروا فيه بما يعود عليهم بالنفع وحضره اول سنة نحو عشرين رجلا لكنهم رأوا من فائدته ما ضاعف رغبتهم فيه فصار عدد الحضور الآن ألفين رجالاً ونساء وهم ليسوا من العلماء ولا كلهم من الذين يعرفون القراءة والكتابة لان اكثرهم كانوا عبيداً وقت حرب الحرية حتى ان واحداً منهم وقف مرة وقال ان ذلك اليوم « يوم اجتماع المؤتمر » هو اليوم الوحيد الذى دخل فيه المدرسة

اما المواضيع التي يبحثون فيها فما يتعلق بهم خاصة ويتوقف عليه نجاحهم او فشلهم مثل الاقتصار على زرع القطن ورهن الغلة قبل جنيها والاكتفاء باستئجار الاطيان وقلة الاهتمام بابتياعها وما فى ذلك كله من الخسارة عليهم ومثل الضرر الناتج عن الاسراف والزينة الباطلة وابتياع ما ليس بهم حاجة اليه ونحو ذلك من المواضيع . ويرأس المستر وشنطون اجتماعاتهم ويديرها بحكمة ومهارة حتى لا تضيع دقيقة من الوقت سدى ولا يبقى هذا المؤتمر الا يوماً واحداً

قال الكاتب وقد رأيت فى احد هذه الاجتماعات امراً يستحق ان يكتب بالتبر على صفحات الايام رأيت امرأة خلاسية وقفت فى الجمع واستأذنت فى الكلام وقالت « اخبرنا الاخ وشنطون فى العام الماضى ان الانسان الواحد يستطيع ان يقوت عائلة من ثلاثة افدنة من الارض وشرح لنا كيفية ذلك وقال انه ميسور للمرأة كما هو ميسور للرجل فعزمت ان امتحن قوله واستأجرت ثلاثة افدنة واستأجرت ايضاً من حرثها لى ووقفت على يده حتى رأيت الارض حرثت حرثاً عميقاً جداً كما يجب ان تحرث وسمدتها وزرعتها » . ثم وصفت طريقة الاعتناء بزرعها وذكرت النفقات التى انفقتها ومقدار الغلة التى استغلتها منها وقالت « ان الغلة كفتنى وكفت عائلتى سنة كما قال فثبت قوله بالامتحان » . فصفق لها الحضور طويلا وهى واقفة لا تبدى علامة من علامات الشكر لهم ثم رفعت يدها يمنة ويسرة فصمتوا كلهم فقالت « انى لأعجب منكم كيف تضيعون دقيقة من هذا اليوم الوحيد فى ما لا طائل تحته وانتم تعلمون ان شعباً كبيراً على شفا جرف هار » (ليت لنا رجل كهذه المرأة)

(المقتطف) وعثل ذلك تقضى هذه المؤتمرات ويرجع الحضور وقد استفادوا منها فوائد جمة . ويرى القارئ لاول وهلة ان ليس عرضنا من كتابة هذه السطور مدح رجل من زنوج اميركا بل ذكر مثال من الامثلة العديدة التى يبين منها ما يستطيعه المرء اذا كان من رجال الهمة والاقدام ولو كان صفر اليدين . والاستدلال على ان رجلاً واحداً قد يأخذ على نفسه ترقية أمة كبيرة فيفلح فى غرضه اذا كان من ابناء تلك الامة اكثر مما يفلح مئات مثله اذا لم يكونوا منها . فان ألوفاً من الاميركيين البيض بذلوا

اقصى الجهد فى تعليم سكانها السود وتهذيبهم فلم يفلحوا عشر ما افلح هذا الرجل . وامثال ذلك كثيرة فى الهند واليابان وكل البلدان التى سعى فضلاء الاوربيين والاميركيين فى نشر العلوم والفنون فيها فانهم حيث استطاعوا ان ينهضوا هم الوطنيين ليصلحوا شؤونهم بانفسهم كان فوزهم عظيماً وحيث بقى الوطنيون يعتمدون عليهم لم ينتج عن سعيهم غير فوائد قليلة محصورة فى بعض الذين تعلموا منهم ولا يفيد الامم الا سعي ابنائها كما لا يفيد المرء الا سعيه لنفسه « ومن كان أسعى كان بالمجد أجدرا » اهـ محروفه

الاخبار التاريخية

السنوسى واتباعه

ان اهتمام اوربا بالشيخ محمد المهدى السنوسى واتباعه قد جعل له شأناً كبيراً فى